

الأربعون الخيرية

محمد خير رمضان يوسف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَقْدِمَةٌ

الحمدُ لله الذي بيده الخيرُ كُلُّهُ، والصلاةُ والسلامُ على معلِّمِ الناسِ الخيرِ، وعلى آلهِ وأصحابِهِ
أهلِ المحبَّةِ والخيرِ، وبعد:
فقد جمعتُ في هذه الأربعينَ أحاديثَ من صحيحي البخاريِّ ومسلم، مما وردَ فيها لفظُ
(الخَيْر) تعريفًا وتنكيرًا، ولم أزدُ على هذا المصدرِ تصريحًا آخر.
وهي مختاراتٌ متنوّعةٌ في موضوعاتٍ شتى، يربطُ بينها ما كان فيها لفظُ (الخَيْر).
وابتغيتُ بذلك الخيرَ، ولتكونَ لينةً فيه، من بين لبناتٍ يضعُها أهلُ الإسلامِ، من كتابِ الله
تعالى، وسنَّةِ رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
ونقلتُ من شروحِ الأحاديثِ تفسيرَ الغريبِ الواردِ فيها، مع تعليقاتٍ وفوائدٍ واستنباطاتٍ
تفيدُ القارئَ إن شاء اللهُ.
والله وليُّ التوفيقِ.

محمد خير يوسف

محرم ١٤٣٧ هـ

(١)

خير أهل الأرض

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال:

قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية: "أنتم خير أهل الأرض".
وكنا ألقا وأربعمائة، ولو كنتُ أبصرُ اليومَ لأريْتُكم مكانَ الشجرة.

صحيح البخاري (٣٩٢٣) واللفظُ له، صحيح مسلم (١٨٥٦).

الشجرة المقصودةُ هي الشجرةُ التي بايعَ الصحابةُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحتها على
مناجزةِ قُرَيْشٍ وعدمِ الفرارِ مِنَ المعركةِ إِذَا حَدَّثَتِ الحربَ، وكانت بأرضِ الحديبية، وقد ذكرها
رُثْبَا فِي الآيَةِ (١٨) مِنْ سورةِ الفتح: {لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ
الشَّجَرَةِ}، وقطعها عمرُ رضيَ اللهُ عنه عندما بلعهُ أن الناسَ يقصدونها ويصلُّون عندها.

(٢)

خير القرون

عن عبد الله [بن مسعود] رضي الله عنه، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

"خيرُ الناسِ قرني، ثم الذين يلونهم، ثم يجيءُ أقوامٌ تسبقُ شهادةُ أحدهم يمينه، ويمينه
شهادته".

صحيح البخاري (٢٥٠٩) واللفظُ له، صحيح مسلم (٢٥٣٣).

اتفق العلماءُ على أن خيرَ القرونِ قرنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمرادُ أصحابه.

"ثم يجيءُ أقوام...": هذا ذمٌّ لمن يشهدُ ويحلفُ مع شهادته.

ومعنى الحديث، أنه يجمع بين اليمين والشهادة، فتارةً تسبق هذه، وتارةً هذه^(١).

(٣)

نعيم الجنة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
"لقاب قوس في الجنة، خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب".

صحيح البخاري (٢٦٤٠).

قَابَ الرجلُ: قَرَّبَ. وقَابُ قوس: كنايةٌ عن القرب^(٢).

ويعني: خيرٌ من الدنيا وما فيها^(٣).

(٤)

الجنة والنار

عن أنس بن مالك قال:

صلى لنا النبي صلى الله عليه وسلم، ثم رقي المنبر، فأشار بيديه قبل قبلة المسجد، ثم قال:
"لقد رأيتُ الآن، منذُ صليتُ لكم الصلاة، الجنة والنار، ممثلتين في قبلة هذا الجدار، فلم
أَرَ كاليوم في الخير والشر". ثلاثاً.

صحيح البخاري (٧١٦) واللفظ له، صحيح مسلم (٢٣٥٩). ويأني الحديث مطوّلاً.

(١) ينظر شرح النووي على صحيح مسلم ٨٥/١٦.

(٢) لسان العرب، باب قوب.

(٣) فتح الباري ١٤/٦.

ممثلتين: مصوّرتين، أو مثالهما^(٤).

(٥)

الاستخارة

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال:
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُنَا الاستخارة في الأمور كما يُعَلِّمُنَا السورة من القرآن، يقول:

"إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيُقَلِّ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فَاقْدُرْهُ لِي، وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي، فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْني عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي بِهِ".

قال: "وَيُسَمِّي حاجته".

صحيح البخاري (١١٠٩).

أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ: أي: أطلبُ خيرَكَ مستعينًا بعلمِكَ.
وَأَسْتَقْدِرُكَ: أي: أطلبُ منك أن تجعلَ لي قدرَةً عليه^(٥).

(٤) النهاية في غريب الحديث ٤/٢٩٥.

(٥) ينظر تحفة الأحوذى ٢/٤٨٣.

(٦)

الهداية

عن سهل بن سعد، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

"لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ".

جزءٌ من حديثٍ رواه البخاريُّ في صحيحه (٣٤٩٨)، ومسلم كذلك (٢٤٠٦)، ولفظهما سواء.

حُمْرُ النَّعَمِ: هي الإبلُ الحُمْرُ، وهي أنفسُ أموالِ العرب، يضربون بها المثلَ في نفاسةِ الشيء، وأنه ليس هناك أعظمُ منه^(٦).

(٧)

خير الناس

عن أبي سعيد الخُدريِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:

جاء أعرابيٌّ إلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟

قَالَ: "رَجُلٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، وَرَجُلٌ فِي شَعْبٍ مِنْ الشَّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ، وَيَدْعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ".

صحيح البخاري (٦١٢٩) واللفظُ له، صحيح مسلم (١٨٨٨).

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم ١٧٨/١٥.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: فيه دليل لمن قال بتفضيل العزلة على الاختلاط، وفي ذلك خلاف مشهور، فمذهب الشافعي وأكثر العلماء أن الاختلاط أفضل، بشرط رجاء السلامة من الفتن، ومذهب طوائف أن الاعتزال أفضل، وأجاب الجمهور عن هذا الحديث بأنه محمول على الاعتزال في زمن الفتن والحروب، أو هو فيمن لا يسلم الناس منه، ولا يصبر عليهم، أو نحو ذلك من الخصوص.

وقد كانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وجماهير الصحابة والتابعين والعلماء والزهاد مختلطين، فيحصلون منافع الاختلاط، كشهود الجمعة والجماعة والجناز، وعيادة المرضى، وحلق الذكر، وغير ذلك.

وأما الشعب، فهو ما انفج بين جبلين، وليس المراد نفس الشعب خصوصاً، بل المراد الانفراد والاعتزال، وذكر الشعب مثلاً؛ لأنه خال عن الناس غالباً^(٧).

(٨)

الجهاد

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
"لغدوة في سبيل الله أو روحة، خير من الدنيا وما فيها".

صحيح البخاري (٢٦٣٩)، صحيح مسلم (١٨٨١، ١٨٨٣)، واللفظ للأول.

الغدوة: السير أول النهار إلى الزوال، والرّوحة: السير من الزوال إلى آخر النهار. ومعنى الحديث: أن فضل الغدوة والروحة في سبيل الله وثوابهما، خير من نعيم الدنيا كلّها لو ملكها إنسان وتصوّر تنعمه بها كلّها؛ لأنه زائل، ونعيم الآخرة باق^(٨).

(٧) شرح النووي على صحيح مسلم ٣٤/١٣.

(٨) ينظر شرح النووي على صحيح مسلم ٢٦/١٣.

(٩)

الشهيد

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من عبد يموت، له عند الله خير، يسرُّه أن يرجع إلى الدنيا وأنَّ له الدنيا وما فيها، إلاَّ الشهيد، لما يرى من فضل الشهادة، فإنه يسرُّه أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرَّةً أخرى".

صحيح البخاري (٢٦٤٢)، صحيح مسلم (١٨٧٧)، واللفظ للأول.

هذا لما يرى من فضل الشهادة.

قال ابن بطال رحمه الله: ليس في أعمال البرِّ ما تُبدلُ فيه النفسُ غيرُ الجهاد، فلذلك عظم فيه الثواب^(٩).

(١٠)

التركية

عن خارقة بن زيد بن ثابت، أن أمَّ العلاء - امرأة من الأنصار بايعت النبي صلى الله عليه وسلم -

أنَّهُ اقتسم المهاجرون فُرعةً، فطار لنا عثمان بن مظعون، فأنزلناهُ في أبياتنا، فوجع وجعهُ الذي تُويِّ فيه، فلما تويِّ وغَسِلَ وكُفِّنَ في أثوابه، دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فقلتُ: رحمةُ الله عليك يا أبا السائب، فشهادتي عليك: لقد أكرمك الله.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "وما يُدريك أن الله أكرمهُ؟"

فقلتُ: بأبي أنت يا رسول الله، فمن يُكرمهُ الله؟

(٩) فتح الباري ٦/٣٢.

فقال: "أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ، وَاللَّهُ مَا أَدْرِي، وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ، مَا يُفْعَلُ بِي".

قالت: فوالله لا أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا.

(صحيح البخاري ١١٨٦).

طَارَ لَنَا عَثْمَانُ بْنُ مِطْعُونٍ: أَي: حَصَلَ فِي نَصِينَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ.
وَطِيرَ كُلِّ إِنْسَانٍ نَصِيْبِهِ.

وَكَاتِ وَفَاةُ ابْنِ مِطْعُونٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَنَةَ ثَلَاثٍ لِلْهِجْرَةِ. وَكَانَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ^(١٠).

(١١)

خَيْرِ الْآخِرَةِ

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ، وَالْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ يَحْفَرُونَ الْخَنْدَقَ، فَقَالَ:

"اللَّهُمَّ إِنَّ الْخَيْرَ خَيْرُ الْآخِرَةِ فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ"

فَأَجَابُوا:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدًا

صحيح البخاري (٦٧٧٥) واللفظُ له، صحيح مسلم (١٨٠٥).

قال الحافظُ ابنُ حجرٍ رحمه الله: وفيه أن في إنشادِ الشعرِ تنشيطاً في العملِ، وبذلك جرت

عادتهم في الحربِ، وأكثرُ ما يستعملون في ذلك الرجز^(١١).

(١٠) ينظر فتح الباري ٣١١/٩، ٤١١/١٢.

(١١) فتح الباري ٣٩٥/٧.

(١٢)

أبواب الجنة

عن أبي هريرة قال: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقول: "مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِ - يَعْنِي الْجَنَّةَ - : يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا خَيْرٌ".

فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصِّيَامِ وَبَابِ الرِّيَّانِ".

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا عَلَى هَذَا الَّذِي يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ.
وَقَالَ: هَلْ يُدْعَى مِنْهَا كُلِّهَا أَحَدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟
قَالَ: "نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ يَا أَبَا بَكْرٍ".

صحيح البخاري (٣٤٦٦)، صحيح مسلم (١٠٢٧)، واللفظ للبخاري.

المراد بالزوجين: إنفاقُ شيئينِ من أيِّ صنفٍ من أصنافِ المالِ من نوعٍ واحدٍ.
هذا خير: ليس اسمُ التفضيلِ، بل المعنى: هذا خيرٌ من الخيراتِ، والتنوينُ فيه للتعظيمِ.
وفائدته: زيادةُ ترغيبِ السامعِ في طلبِ الدخولِ من ذلكَ البابِ.
وقولُ أبي بكرٍ رضي اللهُ عنه: "ما على هذا الذي يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ"، (ما) هنا نافية، و(من) زائدة، ويعني: لا ضرورةَ على من دُعِيَ من بابٍ واحدٍ من تلكَ الأبوابِ إن لم يُدْعَ من سائرِها؛ لحصولِ المقصودِ، وهو دخولُ الجنةِ. وهذا نوعٌ تمهيدٍ لسؤاله التالي.

ومعنى الحديث: أن كلَّ عاملٍ يُدْعَى مِنْ بَابِ ذَلِكَ الْعَمَلِ.
وفي الحديثِ إشعارٌ بقلَّةِ مَنْ يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا.
وفيه إشارةٌ إلى أن المرادَ ما يُتَطَوَّقُ بِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ الْمَذْكُورَةِ، لا واجباتُها؛ لكثرةِ مَنْ يَجْتَمِعُ لَهُ الْعَمَلُ بِالوَاجِبَاتِ كُلِّهَا، بخلافِ التطوعاتِ، فقلَّ مَنْ يَجْتَمِعُ لَهُ الْعَمَلُ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ التَطَوُّعَاتِ.

ثم مَنْ يَجْتَمِعُ لَهُ ذَلِكَ إِنَّمَا يُدْعَى مِنْ جَمِيعِ الْأَبْوَابِ عَلَى سَبِيلِ التَّكْرِيمِ لَهُ، وَإِلَّا فَدَخُولُهُ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ، وَلَعَلَّهُ بَابُ الْعَمَلِ الَّذِي يَكُونُ أَغْلَبَ عَلَيْهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(١٢).

(١٣)

مناديل سعد

عن البراء [بن عازب] رضي الله عنه قال:
أُهِدِيَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُلَّةٌ حَرِيرٌ، فَجَعَلَ أَصْحَابُهُ يَمْسُوهَا وَيَعْجَبُونَ مِنْ لِينِهَا،
فَقَالَ:

"أَتَعْجَبُونَ مِنْ لِينِ هَذِهِ؟ لِمَنَادِيلِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ خَيْرٌ مِنْهَا وَأَلْيَنٌ".

صحيح البخاري (٣٥٩١)، وصحيح مسلم من حديث أنس (٢٤٦٩).

حَصَّ الْمَنَادِيلَ بِالذِّكْرِ لِكُونِهَا تُمْتِنًا، فَيَكُونُ مَا فَوْقَهَا أَعْلَى مِنْهَا بِطَرِيقِ الْأُولَى^(١٣).

(١٤)

الطعام والسلام

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما:
أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟
قَالَ: "تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ، عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ".

صحيح البخاري (١٢)، صحيح مسلم (٣٩). ولفظهما سواء.

(١٢) باختصار من فتح الباري ٤/١١٢، ٢٨/٧.

(١٣) فتح الباري ١٠/٢٩١.

فيه الحثُّ على إطعامِ الطعامِ والجود.
وإفشاءِ السلامِ سببٌ للتحابِّ والتوادد. فالقصدُ من مشروعيتِهِ تحصيلُ الألفةِ بين
المسلمين^(١٤).

(١٥)

خير المسلمين

عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال:
إن رجلاً سأل رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أيُّ المسلمينَ خير؟
قال: "من سَلِمَ المسلمونَ مِن لسانِهِ ويده".

صحيح البخاري (٦١١٩)، صحيح مسلم (٤٠) واللفظُ له.

معناه مَنْ لم يؤذِ مسلماً بقولٍ ولا فعل. وَحَصَّ اليَدَ بالذكرِ لأنَّ معظَمَ الأفعالِ بها^(١٥).

(١٦)

الحياء

عن عمرانَ بنِ حُصَيْنٍ قال: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
"الحياءُ خيرٌ كُلُّهُ".

صحيح مسلم (٣٧).

(١٤) ينظر تحفة الأحوذى ٣٨٣/٧، شرح النووي على صحيح مسلم ١٠/٢.

(١٥) ينظر شرح النووي على صحيح مسلم ١٠/٢.

قال الحافظُ ابنُ حجرٍ في كلامٍ نفيسٍ: وأما كونهُ خيرًا كله، ولا يأتي إلا بخير، فأشكَلُ حملُهُ على العموم؛ لأنه قد يصدُّ صاحبهُ عن مواجهةٍ من يرتكبُ المنكرات، ويحملُهُ على الإخلالِ ببعضِ الحقوق؟

والجواب: أن المرادَ بالحياةِ في هذه الأحاديثِ ما يكونُ شرعيًّا، والحياةُ الذي يَنشأُ عنه الإخلالُ بالحقوقِ ليس حياةً شرعيًّا، بل هو عجزٌ ومهانة، وإنما يُطلقُ عليه حياة، لمشابهةِ للحياةِ الشرعيِّ. وهو خُلُقٌ يبعثُ على تركِ القبيحِ^(١٦).

قلت: الذي يعنيه ابنُ حجرٍ رحمه الله، هو ما يفرِّقُ علماءَ النفسِ في عصرنا بين الحياةِ والخجل، فالحياةُ محمودة، والخجلُ مرض، أو قد يكونُ مرضًا؛ لأنه قد يكفُّ صاحبهُ عن واجباته.

قال الحافظ: ويحتملُ أن يكونَ أشيرَ إلى أن مَنْ كان الحياةُ من خُلُقهِ، أن الخيرَ يكونُ فيه أغلب، فيضمحلُّ ما لعله يقعُ منه مما ذُكر، في جنبِ ما يحصلُ له بالحياةِ من الخير، أو لكونه إذا صارَ عادةً وتخلَّقَ به صاحبه، يكونُ سببًا لجلبِ الخيرِ إليه، فيكونُ منه الخيرُ بالذاتِ والسببِ.

وفي كلامٍ مفيدٍ أيضًا نقلَ كلامَ أبي العباسِ القرطبيِّ رحمه الله قوله: الحياةُ المكتسبُ هو الذي جعلهُ الشارعُ من الإيمان، وهو المكلفُ به دون الغريزيِّ، غير أن مَنْ كان فيه غريزةٌ منه فإنها تُعينُهُ على المكتسبِ، وقد ينطبعُ بالمكتسبِ حتى يصيرَ غريزًا. قال: وكان النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد جُمِعَ له النوعان، فكان في الغريزيِّ أشدَّ حياةً من العذراءِ في خدرها، وكان في الحياةِ المكتسبِ في الذروةِ العليا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١٧).

(١٦) فتح الباري ١٠/٥٢٢.

(١٧) المصدر السابق.

(١٧)

الرفق

عن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
"مَنْ يُحَرِّمِ الرَّفْقَ يُحَرِّمِ الْخَيْرَ".

صحيح مسلم (٢٥٩٢).

فيه فضل الرفق، والحثُّ على التخلُّق، وذمُّ العنف، والرفقُ سببُ كلِّ خير.
وقال القاضي [عياض]: معناه: يتأتَّى به من الأغراض، ويسهِّلُ من المطالب، ما لا يتأتَّى
بغيره^(١٨).

(١٨)

أفعال البرِّ

عن حكيم بن حزام قال:
قلت: يا رسولَ الله، أشياءَ كنتُ أفعلُها في الجاهلية؟
قال هشامُ [بنُ عروة]: يعني أتبرَّرتُ بها.
فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أسلمتَ على ما أسلفتَ لك من الخير".
قلت: فوالله لا أدعُ شيئًا صنعتُهُ في الجاهلية إلا فعلتُ في الإسلامِ مثله.

صحيح البخاري (٢١٠٧)، صحيح مسلم (١٢٣) واللفظُ له.

التبرُّر: فعلُ البرِّ، وهو الطاعة.

(١٨) شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/١٤٥.

وقد ذهب ابن بطّالٍ وغيره من المحقّقين، إلى أن الحديثَ على ظاهره، وأنه إذا أسلمَ الكافرُ وماتَ على الإسلام، يُثابُّ على ما فعله من الخيرِ في حالِ الكفر... واللهِ تعالى أن يتفضّلَ على عباده بما يشاء، لا اعتراضَ لأحدٍ عليه^(١٩).

قال الإمامُ النوويُّ رحمه الله: وأما قولُ الفقهاء: لا يصحُّ من الكافرِ عبادة، ولو أسلمَ لم يعتدَّ بها، فمراؤهم أنه لا يعتدُّ له بها في أحكامِ الدنيا، وليس فيه تعرُّضٌ لثوابِ الآخرة. فإنَّ أقدمَ قائلٍ على التصريحِ بأنه إذا أسلمَ لا يُثابُّ عليها في الآخرة، ردَّ قوله بهذه السنّةِ الصحيحة. وقد يُعتدُّ ببعضِ أفعالِ الكفارِ في أحكامِ الدنيا...^(٢٠).

(١٩)

الناس معادن

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم قال: "تجدونَ النَّاسَ معادن، خيارُهم في الجاهليّة خيارُهم في الإسلام إذا فقهوا، وتجدونَ خيرَ النَّاسِ في هذا الشَّانِ أشدَّهم له كراهية، وتجدونَ شرَّ النَّاسِ ذا الوجهين، الَّذي يأتي هؤلاءِ بوجه، ويأتي هؤلاءِ بوجه".

صحيح البخاري (٣٣٠٤)، صحيح مسلم (٢٥٢٦)، واللفظُ للأول.

"وتجدونَ خيرَ النَّاسِ في هذا الشَّانِ" أي: في الولاية والإمرة. وقوله: "أشدَّهم له كراهية": أي أن الدخولَ في عهدِ الإمرة مكره، من جهة تحمُّلِ المشقّة فيه، وإنما تشتدُّ الكراهةُ له ممن يتّصفُ بالعقلِ والدين، لما فيه من صعوبة العملِ بالعدل،

(١٩) ينظر شرح النووي على صحيح مسلم ١٤٠/٢.

(٢٠) المصدر السابق ١٤٢/٢.

وحمل الناس على رفع الظلم، ولما يترتب عليه من مطالبة الله تعالى للقائم به من حقوقه وحقوق عباده. ولا يخفى خيريته من خاف مقام ربه^(٢١).

"وتجدون شر الناس ذا الوجهين.. " قال القرطبي: إنما كان ذو الوجهين شر الناس؛ لأن حاله حال المنافق، إذ هو متملق بالباطل والكذب، مُدخل للفساد بين الناس"^(٢٢).

(٢٠)

الخير أولى ولو حلف

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إني والله - إن شاء الله - لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها، إلا أتيت الذي هو خيرٌ وتحللتها".

جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه (٢٩٦٤)، ومسلم كذلك (١٦٤٩).

معنى "تحللتها": فعلت ما ينقل المنع الذي يقتضيه إلى الإذن، فيصير حلالاً. وإنما يحصل ذلك بالكفارة^(٢٣).

(٢١)

الخير والشر

عن حذيفة بن اليمان قال:

(٢١) فتح الباري ١٠/٤٧٥.

(٢٢) المصدر السابق ٦/١٤٤.

(٢٣) فتح الباري ١١/٦١١.

كان الناس يسألون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الخير، وكنتُ أسأله عن الشرِّ مخافةً أن يُدرِكَنِي، فقلتُ:

يا رسولَ اللهِ، إنَّا كنَّا في جاهليَّةٍ وشرِّ، فجاءنا اللهُ بهذا الخير، فهل بعدَ هذا الخيرِ من شرِّ؟ قال: "نعم".

قلتُ: وهل بعدَ ذلكَ الشرِّ من خيرٍ؟

قال: "نعم، وفيه دَخْنٌ".

قلتُ: وما دَخْنُهُ؟

قال: "قومٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ".

قلتُ: فهل بعدَ ذلكَ الخيرِ من شرِّ؟

قال: "نعم، دُعاةٌ على أبوابِ جهنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا".

قلتُ: يا رسولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا.

قال: "هم من جِلْدَتِنَا، ويتكَلَّمُونَ بِالسِّنِّتِنَا".

قلتُ: فما تأمُرُنِي إن أدركني ذلك؟

قال: "تَلَزِمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ".

قلتُ: فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمام؟

قال: "فَاعْتَرِزْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا، ولو أن تَعَصَّ بأصلِ شجرة، حتى يُدرِكَكَ الموتُ وأنت على ذلك".

صحيح البخاري (٣٤١١) واللفظُ له، صحيح مسلم (١٨٤٧).

الدخْن: كدورةٌ إلى سواد. قالوا: والمرادُ هنا أن لا تصفوَ القلوبُ بعضها لبعض، ولا يزولَ خبثُها، ولا ترجعَ إلى ما كانت عليه من الصفاء

قال القاضي عياض: قيل: المرادُ بالخيرِ بعد الشرِّ أيامُ عمر بن عبد العزيز رضي اللهُ عنه.

قوله بعده: "تعرفُ منهم وتُنكرُ": المرادُ الأمرُ بعد عمر بن عبد العزيز رضي اللهُ عنه.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ويَهْتَدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي" الهدى: الهيئةُ والسيرةُ والطريقة.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "دَعَا عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مِنْ أَجَابِهِمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا" قَالَ الْعُلَمَاءُ: هَؤُلَاءِ مَنْ كَانَ مِنَ الْأُمَرَاءِ يَدْعُو إِلَى بَدْعَةٍ أَوْ ضَلَالٍ، كَالْخَوَارِجِ وَالْقَرَامِطَةِ. وَفِي حَدِيثٍ حَذِيفَةً هَذَا: لَزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامِهِمْ، وَوَجُوبُ طَاعَتِهِ وَإِنْ فَسَقَ وَعَمَلَ الْمَعَاصِيَ، مِنْ أَخْذِ الْأَمْوَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَتَجِبُ طَاعَتُهُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ. وَفِيهِ مَعْجَزَاتٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهِيَ هَذِهِ الْأُمُورُ الَّتِي أَخْبَرَ بِهَا، وَقَدْ وَقَعَتْ كُلُّهَا^(٢٤).

(٢٢)

التصدق بالثلث

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: جاءنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُنِي مِنْ وَجَعٍ اسْتَدَّ بِي زَمَنَ حَجَّةِ الْوُدَاعِ، فَقُلْتُ: بَلِّغْ بِي مَا تَرَى، وَأَنَا ذُو مَالٍ، وَلَا يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ لِي، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلثِي مَالِي؟ قَالَ: "لَا".

قلت: بِالشَّطْرِ؟

قال: "لَا".

قلت: الثُّلُثُ؟

قال: "الثُّلُثُ كَثِيرٌ، أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَلَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ، إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ".

صحيح البخاري (٥٣٤٤)، صحيح مسلم (١٦٢٨)، واللفظُ للأول.

يتكففون: يسألون الناس في أكفهم.

(٢٤) شرح النووي على صحيح مسلم ٢٣٦/١٢ مع شيء من الاختصار.

قال الإمام النووي: في هذا الحديث مراعاة العدل بين الورثة والوصية، قال أصحابنا [الشافعية] وغيرهم من العلماء: إن كانت الورثة أغنياء استحب أن يوصي بالثلث تبرعاً، وإن كانوا فقراء استحب أن ينقص من الثلث.

وفيه حث على صلة الأرحام، والإحسان إلى الأقارب، والشفقة على الورثة، وأن صلة القريب الأقرب والإحسان إليه أفضل من الأبعد.

وفيه استحباب الإنفاق في وجوه الخير.

وفيه أن الأعمال بالنيات، وأنه إنما يُثاب على عمله بنيتة.

وفيه أن الإنفاق على العيال يُثاب عليه إذا قصد به وجه الله تعالى.

وفيه أن المباح إذا قصد به وجه الله تعالى صار طاعة، ويُثاب عليه^(٢٥).

(٢٣)

خير اليدين

عن حكيم بن حزام رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اليُدُ العُلَيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعْفِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ".

صحيح البخاري (١٣٦١) واللفظ له، صحيح مسلم (١٠٣٤).

اليُدُ العُلَيَا هي المنفقة، والسفلى هي السائلة.

والمراد بالعلو علو الفضل والمجد ونيل الثواب.

ومن يستعفف: أي يمتنع عن السؤال.

يعفُّه الله: أي أنه يجازيه على استعفافه بصيانة وجهه، ودفع فاقته.

ومن يستغن: أي بالله عمَّن سواه.

(٢٥) مختصر من شرح النووي على صحيح مسلم ٧٧/١١.

يُغْنِيهِ: أَي يَعْطِيهِ مَا يَسْتَعِينِي بِهِ عَنِ السُّؤَالِ، وَيَخْلُقُ فِي قَلْبِهِ الْغِنَى، فَإِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ.
وَفِي الْحَدِيثِ الْحَثُّ عَلَى الْإِنْفَاقِ فِي وَجْهِ الطَّاعَاتِ، وَالْحِضُّ عَلَى الْاسْتِغْنَاءِ عَنِ النَّاسِ،
وَالْتَعَفُّفِ عَنِ سُؤَالِهِمْ بِالصَّبْرِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ، وَانْتِظَارِ مَا يَرْزُقُهُ اللَّهُ (٢٦).

(٢٤)

المفاضلة بين الغني والفقير

عن سهل [بن سعد الساعدي] قال:

مرَّ رجلٌ على رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: "ما تقولون في هذا؟"
قالوا: حريٌّ إنْ خَظَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ.
قال: ثم سكتَ، فمرَّ رجلٌ من فقراءِ المسلمين فقال: "ما تقولون في هذا؟"
قالوا: حريٌّ إنْ خَظَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْتَمَعَ.
فقال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هذا خيرٌ من ملءِ الأرضِ مثلَ هذا".

صحيح البخاري (٤٨٠٣).

أي: هذا الفقيرُ خيرٌ من ملءِ الأرضِ مثلَ هذا الغني.
قال الحافظُ ابنُ حجر: أُطْلِقَ تَفْضِيلُ الْفَقِيرِ الْمَذْكُورِ عَلَى الْغَنِيِّ الْمَذْكُورِ، وَلَا يَلِزُ مِنْ ذَلِكَ
تَفْضِيلُ كُلِّ غَنِيٍّ عَلَى كُلِّ فَقِيرٍ (٢٧).

(٢٦) مستفاد من شرح النووي على صحيح مسلم ٧/١٢٤، ١٢٥، وفتح الباري ١١/٣٠٤.

(٢٧) فتح الباري ٩/١٣٦.

(٢٥)

الصبر خير من المال

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:
أَنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ،
حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا عِنْدَهُ قَالَ:
"مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ
اللَّهُ، وَمَنْ يَصْبِرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ".

صحيح البخاري (١٤٠٠)، صحيح مسلم (١٠٥٣)، واللفظ له.

سبق شرح بعض ألفاظ الحديث، وذكر فوائده له.
ومن يتصبر: أي يعالج نفسه على ترك السؤال، ويصبر إلى أن يحصل له الرزق.
وقوله "يصبره الله" أي: فإنه يقويه، ويمكنه من نفسه حتى تنقاد له ويذعن لتحمل الشدة،
فعند ذلك يكون الله معه، فيظفره بمطلوبه.
وإنما جعل الصبر خير العطاء؛ لأنه حبس النفس عن فعل ما تحبه، وإلزامها بفعل ما تكره في
العاجل، مما لو فعله أو تركه لتأذى به في الآجل^(٢٨).

(٢٦)

العمل خير من المذلة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:
"وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَحْتَضِبَ عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ
رَجُلًا فَيَسْأَلَهُ، أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ".

(٢٨) باختصار من فتح الباري ٣٠٤/١١.

صحيح البخاري (١٤٠١).

يحتطب: يجمع الحطاب.

على ظهره: أي حاملاً على ظهره. فيتصدق منه ويستغني به.

"خير": أي: ما يلحقه من مشقة الغدو، والاحتطاب، ثم التصدق، والاستغناء به، خير من ذل السؤال^(٢٩).

(٢٧)

الصدقة وما يقوم مقامها

عن سعيد بن أبي بُردة، عن أبيه، عن جدّه، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

"على كلِّ مسلمٍ صدقة".

قيل: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ؟

قال: "يَعْتَمِلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ".

قال: قيل: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟

قال: "يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ".

قال: قيلَ له: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟

قال: "يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ أَوْ الْخَيْرِ".

قال: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟

قال: "يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّمَا صَدَقَةٌ".

صحيح مسلم (١٠٠٨).

(٢٩) تحفة الأحوذى ٢٨٨/٣، مع شيء من التصرف.

نقلَ السيوطيُّ عن الإمامِ النوويِّ قولَ العلماء: المرادُ صدقةٌ ندبٌ وترغيبٌ، لا إيجابٌ وإلزامٌ^(٣٠).

والملهوفُ عند أهلِ اللغةِ يُطلَقُ على المتحسِّرِ، وعلى المضطرِّ، وعلى المظلومِ.
"تَمَسَّكَ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّمَا صَدَقَةٌ": معناه صدقةٌ على نفسه، كما في غيرِ هذه الرواية. والمرادُ أنه إذا أمسَكَ عَنِ الشَّرِّ لَهِ تَعَالَى، كَانَ لَهُ أَجْرٌ عَلَى ذَلِكَ، كَمَا أَنَّ لِلْمَتَصَدِّقِ بِالْمَالِ أَجْرًا^(٣١).

(٢٨)

الخير لا يأتي بالشر

عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ، أن رجلاً سأل:

أَوْ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

فقال: "إنه لا يأتي الخيرُ بالشرِّ".

وبطريقٍ أخرى قوله عليه الصلاة والسلام: "لا يأتي الخيرُ إلا بالخير" ثلاثاً.

جزءٌ من حديثٍ مع اختصارِ الخبر، رواه الشيخان، البخاري (١٣٩٦)، ومسلم (١٠٥٢)، واللفظُ للأخير.

قال الحافظُ ابنُ حجر وهو يربطُ الحديثَ بما قبله: يُؤخَذُ منه أن الرزقَ ولو كثَرَ فهو من جملةِ الخيرِ، إنَّما يَعْرَضُ لَهُ الشَّرُّ بِعَارِضِ الْبَخْلِ بِهِ عَمَّنْ يَسْتَحْفُهُ، وَالْإِسْرَافِ فِي إِنْفَاقِهِ فِيمَا لَمْ يَشْرَعْ، وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَضَى اللَّهُ أَنْ يَكُونَ خَيْرًا فَلَا يَكُونُ شَرًّا، وَبِالعَكْسِ، وَلَكِنْ يُخَشَى عَلَى مَنْ رَزِقَ الْخَيْرَ أَنْ يَعْرَضَ لَهُ فِي تَصَرُّفِهِ فِيهِ مَا يَجْلِبُ لَهُ الشَّرُّ^(٣٢).

(٣٠) شرح السيوطي لسنن النسائي ٦٤/٥.

(٣١) شرح النووي على صحيح مسلم ٨١/٣ باختصار.

(٣٢) فتح الباري ٢٤٦/١١.

(٢٩)

الثناء على العمل الحسن

عن أبي ذرّ قال:

قيل لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟

قال: "تلكَ عاجلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ".

صحيح مسلم (٢٦٤٢).

أوردَ فِيهِ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ قَوْلَ الْعُلَمَاءِ: مَعْنَاهُ: هَذِهِ الْبُشْرَى الْمَعْجَلَةُ لَهُ بِالْخَيْرِ، وَهِيَ دَلِيلٌ عَلَى رِضَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْهُ وَمُحَبَّتِهِ لَهُ فِيحِبِّهِ إِلَى الْخَلْقِ... ثُمَّ يَوْضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ. هَذَا كُلُّهُ إِذَا حَمَدَهُ النَّاسُ مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ مِنْهُ لِحَمْدِهِمْ، وَإِلَّا فَالتَّعَرُّضُ مَذْمُومٌ.

قلت: يبدو أن مقصود الإمام النووي هو أن المرء لا يذهب إلى الناس ويطلب منهم الثناء عليه، لكن أفعاله وأخلاقه ومعاملته هي التي تجلب له هذا الحمد والثناء^(٣٣).

(٣٠)

ذكر الله والتقرب إليه

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرُولًا".

(٣٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/١٨٩.

صحيح البخاري (٦٩٧٠)، صحيح مسلم (٢٦٧٥)، واللفظ للأول.

"أنا عند ظنّ عبدي بي": المرادُ به الرجاءُ وتأميلُ العفو.
"وإنّ ذكرني في ملامٍ ذكرته في ملامٍ خيرٍ منهم": الذاكرون غالبًا يكونون طائفةً لا نبيّ فيهم،
فإذا ذكره الله تعالى في خلائقٍ من الملائكة كانوا خيرًا من تلك الطائفة.
الباع: قدرٌ مدّ اليدين^(٣٤).

(٣١)

الخير في الخيل

عن عروة البارقي رضي الله عنه، عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:
"الخيْلُ معقودٌ في نواصيها الخيرُ: الأجرُ والمغنم، إلى يومِ القيامة".

صحيح البخاري (٢٩٥١) واللفظُ له، صحيح مسلم (١٨٧٣).

"معقودٌ في نواصيها" أي: ملازمٌ لها كأنه معقودٌ فيها... والمرادُ أنّها أسبابٌ لحصولِ الخيرِ
لصاحبها، فاعتبرَ ذلك كأنه عقدٌ للخيرِ فيها. ثمّ لَمَّا كان الوجهُ هو الأشرف، ولا يُتصوَرُ
العقدُ في الوجهِ إلا في الناصية، اعتبرَ ذلك عقدًا له في الناصية^(٣٥).
وفي الحديثِ بيانٌ أنّ الخيلَ إنّما تكونُ في نواصيها الخيرُ والبركة إذا كان اتّخاذُها في الطاعة، أو
في الأمورِ المباحة، وإلا فهي مذمومة.
والمغنمُ المقتَرَنُ بالأجرِ إنّما يكونُ من الخيلِ بالجهاد^(٣٦).

(٣٤) فتح الباري ١٣/٥١٤، شرح النووي على صحيح مسلم ٢/١٧، ٣.

(٣٥) حاشية السندي على سنن النسائي ٦/٢٢١.

(٣٦) ينظر تحفة الأحوذى ٥/٢١٧، ٢٨٢.

(٣٢)

من الطب النبوي

عن جابر بن عبد الله قال: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: "إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ خَيْرٌ، فَفِي شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أَوْ لَذْعَةٍ مِنْ نَارٍ، وَمَا أَحَبُّ أَنْ أَكْتُوِي".

صحيح البخاري (٥٣٧٥)، صحيح مسلم (٢٢٠٥)، واللفظ للأول.

هذا من بديع الطبِّ عند أهلِهِ كما ذكر النووي، فهو إشارةٌ إلى جميعِ ضروبِ المعافاة. "شَرْطَةُ مِحْجَمٍ" هي الحجامة، والمرادُ بالمحجمِ هنا الحديدُة التي يُشْرَطُ بها موضعُ الحجامة ليُخْرِجَ الدم.

"لذعةٌ من نارٍ": الخفيفُ من حرقِ النار.

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وما أحبُّ أن أكتوي": إشارةٌ إلى تأخيرِ العلاجِ بالكَيِّ حتى يَضْطَرَّ إليه، لما في استعمالِ (استعجالِ) الألمِ الشديدِ في دفعِ ألمٍ قد يكونُ أضعفَ من ألمِ الكَيِّ^(٣٧).

(٣٣)

خروج النساء إلى صلاة العيد

عن أُمِّ عَطِيَّةَ قَالَتْ:

أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُخْرِجَهُنَّ فِي الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى، الْعَوَاتِقَ وَالْحَيْضَ وَذَوَاتِ الْخُدُورِ. فَأَمَّا الْحَيْضُ فَيَعْتَزَلْنَ الصَّلَاةَ، وَيَشْهَدْنَ الْخَيْرَ وَدَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ.

قلت: يا رسولَ الله، إحدانا لا يكونُ لها جلباب؟

(٣٧) شرح النووي على صحيح مسلم ١٤/١٩٣، ١٩٧، فتح الباري ١٠/١٤١.

قال: "لَتَلْبَسَهَا أَخْتُهَا مِنْ جَلْبَابِهَا".

صحيح البخاري (٣١٨)، صحيح مسلم (٨٩٠)، واللفظ له.

العواتقُ جمعُ عاتق، وهي من بلغتِ الحُلُم، أو قاربت، أو استحقتِ التزويج، أو هي الكريمةُ على أهلها.

والخُدُورُ جمعُ خُدْر، وهو البيتُ أو الستر. وقال السيوطي: هو سترٌ في ناحيةِ البيتِ تقعدُ البكرُ وراءه.

وفي الحديثِ أن من شأنِ العواتقِ والمخدَّراتِ عدمُ البروزِ إلا فيما أُذِنَ لهنَّ فيه.

وفيه استحبابُ إعدادِ الجلبابِ للمرأة، ومشروعيةُ عاريةِ الثياب.

وفيه استحبابُ خروجِ النساءِ إلى شهودِ العيدين، سواءً كنَّ شوابَّ أم لا، وذواتِ هياتٍ أم لا (٣٨).

(٣٤)

فضيلة الصلاة في المسجد النبوي

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "صلاةٌ في مسجدي هذا خيرٌ من ألفِ صلاةٍ فيما سواه، إلا المسجدَ الحرام".

صحيح البخاري (١١٣٣)، صحيح مسلم (١٣٩٤)، واللفظُ للبخاري.

(٣٨) فتح الباري ١/٤٢٣، ٢/٤٧٠، حاشية السندي على سنن النسائي ٣/١٨٠، شرح السيوطي على سنن

النسائي ١/١٩٤.

روى الإمام أحمد في مسنده (١٥٣٠٦) وغيره حديث جابر بن عبد الله المرفوع: "صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه"^(٣٩).

واستدل بهذا الحديث على تفضيل مكة على المدينة؛ لأن الأمانة تشرف بفضل العبادة فيها على غيرها، مما تكون العبادة فيه مرجوحة. وهو قول الجمهور^(٤٠).

(٣٥)

صفوف الرجال والنساء

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها، وشرها أولها".

صحيح مسلم (٤٤٠).

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: وأما إذا صلن متميزات لا مع الرجال، فهن كالرجال، خير صفوفهن أولها، وشرها آخرها. والمراد بشر الصفوف في الرجال والنساء أقلها ثواباً وفضلاً، وأبعدها من مطلوب الشرع، وخيرها بعكسه.

وإنما فضّل آخر صفوف النساء الحاضرات مع الرجال لبعدهن من مخالطة الرجال ورؤيتهم، وتعلّق القلب بهم عند رؤية حركاتهم وسماع كلامهم ونحو ذلك. ودّم أول صفوفهن لعكس ذلك. والله أعلم^(٤١).

(٣٩) ذكر الإمام النووي أن إسناده حسن (شرح النووي على صحيح مسلم ١٦٤/٩)، وقال الشيخ شعيب:

إسناده صحيح على شرط البخاري.

(٤٠) قاله ابن حجر في فتح الباري ٦٧/٣.

(٤١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥٩/٤.

(٣٦)

خير ما يكون للجنازة

عن أبي هريرة قال: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: "أسرعوا بالجنازة، فإن كانتَ صالحَةً قَرَّبْتُمُوهَا إِلَى الْخَيْرِ، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ ذَلِكَ كَانَ شَرًّا تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ".

صحيح البخاري (١٢٥٢)، صحيح مسلم (٩٤٤) واللفظُ له.

أسرعوا بالجنازة: أي بحملها إلى قبرها.

وعن الشافعي والجمهور: المراد بالإسراع ما فوق سجيّة المشي المعتاد. ويُكره الإسراع الشديد. قال الحافظُ ابنُ حجر: والحاصلُ أنه يستحبُّ الإسراع، لكنْ بحيثُ لا ينتهي إلى شدّة يُخافُ معها حدوثُ مفسدةٍ بالميت، أو مشقّةٍ على الحاملِ أو المشيِّع؛ لئلا ينافي المقصودَ من النظافة وإدخالِ المشقّةِ على المسلم^(٤٢).

(٣٧)

المباح والمذموم من الشعر

عن ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما، عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "لأنَّ يَمْتَلِيَّ جَوْفَ أَحَدِكُمْ قِيحًا، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِيَّ شِعْرًا".

صحيح البخاري (٥٨٠٢) واللفظُ له، صحيح مسلم (٢٢٥٧).

(٤٢) فتح الباري ٣/١٨٤، عون المعبود ٣/٣٢٦.

الصواب أن المراد أن يكونَ الشعرُ غالبًا عليه، مستوليًا عليه، بحيثُ يَشغلهُ عن القرآنِ وغيره من العلوم الشرعيةِ وذكرِ الله تعالى، وهذا مذمومٌ من أيِّ شعرٍ كان، فأما إذا كان القرآنُ والحديثُ وغيرهما من العلوم الشرعيةِ هو الغالبُ عليه، فلا يضرُّ حفظُ اليسيرِ من الشعرِ مع هذا؛ لأن جوفهُ ليس ممتلئًا شعرًا. والله أعلم.

واستدلَّ بعضُ العلماءِ بهذا الحديثِ على كراهةِ الشعرِ مطلقًا، قليله وكثيره، وإن كان لا فُحشَ فيه...

وقال العلماءُ كافةً: هو مباحٌ ما لم يكن فيه فُحشٌ ونحوه. قالوا: وهو كلامٌ حسنه حسن، وقبيحه قبيح. وهذا هو الصواب. فقد سمعَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشعرَ، واستنشده، وأمرَ به حسنًا في هجاءِ المشركين، وأنشده أصحابهُ بحضرةِ في الأسفارِ وغيرها، وأنشده الخلفاءُ وأئمةُ الصحابةِ وفضلاءُ السلف، ولم يُنكرهُ أحدٌ منهم على إطلاقه، وإنما أنكروا المذمومَ منه، وهو الفُحش ونحوه. ذكره النووي^(٤٣).

(٣٨)

خير المال في الفتن

عن أبي سعيد الخُدريِّ رضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يوشكُ أن يكونَ خيرُ مالِ الرجلِ غنمٌ يتبعُ بها شَعَفَ الجبالِ ومواقعَ القطرِ، يفرُّ بدينه من الفتن".

صحيح البخاري (٣١٢٤).

يوشكُ: يقرب.

شَعَفُ الجبالِ: رؤوسُ الجبالِ.

مواقعُ القطرِ: بطونُ الأودية.

(٤٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٤/١٥ مع شيء من الاختصار.

وَحُصًّا بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُمَا مِطَانُ الْمَرْعَى .

هذا ما ذكره الحافظُ ابنُ حجر. وقال في عون المعبود: مواقعُ القَطْرِ: أي مواضعُ المطرِ وآثاره، من النباتِ وأوراقِ الشجر، يريدُ بها المرعى من الصحراءِ والجبال. يفرُّ بدينه: أي بسببِ دينه. ويعني صيانةً لدينه. قال السندي: وفيه أنه يجوزُ العزلة، بل هي أفضلُ أيامِ الفتن^(٤٤).

(٣٩)

خطر الفتن

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ستكونُ فتنٌ، القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، ومن يُشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأً أو معاذًا فليعدُ به".

صحيح البخاري (٣٤٠٦)، صحيح مسلم (٢٨٨٦)، واللفظُ للبخاري.

الإشرافُ للشيء هو التطلُّعُ إليه والتعرُّضُ له.

"ومن وجد ملجأً": أي عاصمًا وموضعًا يلتجئُ إليه ويعتزل.

"فليعدُ به": أي فليعتزل.

قال الإمامُ النوويُّ رحمه الله تعالى: وأما قوله صلى الله عليه وسلم: "القاعدُ فيها خيرٌ من القائم" إلى آخره، فمعناه بيانُ عظيمِ خطرهما، والحثُّ على تجنبها، والهربُ منها، ومن التشبُّثِ في شيء، وأن شرَّها وفتنتها يكونُ على حسبِ التعلُّقِ بها^(٤٥).

(٤٤) فتح الباري ١/٦٩، عون المعبود ١١/٢٣٤، حاشية السندي على سنن النسائي ٨/١٢٤.

(٤٥) شرح النووي على صحيح مسلم ١٨/٩.

(٤٠)

الإيمان ولو كان قليلاً

عن أنس بن مالك، أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:
"يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ
النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ
قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً".

صحيح البخاري (٦٩٧٥)، صحيح مسلم (١٩٣)، واللفظ للأخير.

البُرَّة: حَبَّةُ القمح.

قال الحافظُ ابنُ حجر: ومقتضاهُ أن وزنَ البُرَّةِ دونَ وزنِ الشعيرة؛ لأنه قدَّمَ الشعيرةَ وتلاها
بالبُرَّة، ثم الذرَّة. وكذلك هو في بعض البلاد.
ومعنى الذرَّة قيل: هي أقلُّ الأشياءِ الموزونة، وقيل: هي الهباءُ الذي يَظهرُ في شعاعِ الشمسِ
مثلَ رؤوسِ الإبر^(٤٦).

(٤٦) فتح الباري ١/١٠٤.

- تحفة الأحوذى / المباركفوري. - بيروت: دار الكتب العلمية [التراث].
- حاشية السندي على سنن النسائي / بعناية عبدالفتاح أبو غدة. - ط ٢. - حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦ هـ [التراث].
- شرح السيوطي لسنن النسائي / بعناية عبدالفتاح أبو غدة. - ط ٢. - حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦ هـ [التراث].
- شرح النووي على صحيح مسلم. - ط ٢. - بيروت: دار إحياء التراث، ١٣٩٢ هـ [التراث].
- صحيح البخاري / تحقيق مصطفى ديب البغا. - ط ٣. - بيروت؛ دمشق:
- صحيح مسلم. - بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٦ هـ.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود / محمد شمس الحق العظيم آبادي. - ط ٢. - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ [التراث].
- فتح الباري: شرح صحيح البخاري / ابن حجر العسقلاني. - بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ [التراث].
- لسان العرب / محمد بن مكرم بن منظور. - بيروت: دار صادر [التراث].
- مسند أحمد بن حنبل. - القاهرة: مؤسسة قرطبة [التراث].
- النهاية في غريب الحديث والأثر / ابن الأثير؛ تحقيق طاهر أحمد الزاوي، محمود الطناحي. - بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩ هـ [التراث].

(٤٧) المراجع التي وضع في آخرها لفظ [التراث] هكذا بين معقوفتين، هي للأقراص المدججة التي أصدرها مركز التراث للبرمجيات في الأردن.

الفهرس

٢	مقدمة.....
٣	خير أهل الأرض.....
٣	خير القرون.....
٤	نعيم الجنة.....
٤	الجنة والنار.....
٥	الاستخارة.....
٦	الهداية.....
٦	خير الناس.....
٧	الجهاد.....
٨	الشهيد.....
٨	التركية.....
٩	خير الآخرة.....
١٠	أبواب الجنة.....
١١	مناديل سعد.....
١١	الطعام والسلام.....
١٢	خير المسلمين.....
١٢	الحياء.....
١٤	الرفق.....
١٤	أفعال البر.....
١٥	الناس معادن.....
١٦	الخير أولى ولو حلف.....
١٦	الخير والشر.....
١٨	التصدق بالثلث.....

١٩خير اليدين
٢٠المفاضلة بين الغني والفقير
٢١الصبر خير من المال
٢١العمل خير من المذلة
٢٢الصدقة وما يقوم مقامها
٢٣الخير لا يأتي بالشر
٢٤الثناء على العمل الحسن
٢٤ذكرُ الله والتقرب إليه
٢٥الخير في الخيل
٢٦من الطب النبوي
٢٦خروج النساء إلى صلاة العيد
٢٧فضيلة الصلاة في المسجد النبوي
٢٨صفوف الرجال والنساء
٢٩خير ما يكون للجنازة
٢٩المباح والمذموم من الشّعْر
٣٠خير المال في الفتن
٣١خطر الفتن
٣١الإيمان ولو كان قليلاً
٣٣المراجع